من الذي سيجمعها؟ من الذي سيهتم بأغان في الشوارع،
في الأزقة وأسواق السمك، من سيهتم بالإيقاعات
الراقصة للفلاحين، بأغان بلا تقطيع عروضي وبقوافٍ خاطئة؟
(Ergang 200)

لقد سبق للفيلسوف الألماني هيغل أن أشار إلى أن مارتن لوثر زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي في القرن الخامس عشر، كان أول من منح الشعب الألماني كتابًا شعبيًا حين أحل التوراة والإنجيل محل الكنيسة كمركز أساسي للثقافة.(٧) وما سعى إليه هيردر شبيه في جوهره بما فعله لوثر، من حيث إن التوراة والإنجيل لم يكونا في نظر هيردر وغيره من المشتغلين بنقد النصوص الدينية سوى موروث شعبي لا يختلف عما لدى الألمان من موروثات شعبية أخرى إلاّ في أهميتهما الروحية، وأنهما نالا حظًا أوفر من الجمع والدراسة والاهتمام. أما القداسة فالشعب أو الطبيعة مصدر لها في نظر هيردر، وهذا يصدق على اللغة نفسها إذ تستمد تميزها من التعابير الاصطلاحية المحلية: «...إن التعابير الاصطلاحية هي التألقات التي لا يستطيع جار أن يسلبها منا...» (Ergang 159).

إن قداسة اللغة والموروث الشعبي مرتكز أساسي بالنسبة للرومانتيكية الأوروبية التي حاول شعراؤها أن يحاكوا ذلك الموروث ويلتصقوا بأهله ويستمدوا منهم ومن لغتهم مادة شعرهم. ذلك أن الموروث الشعبي ولغته وأهله جزء من الطبيعة في حالتها النقية المتفوقة على عالم الزيف المدني. بيد أن تلك المحاكاة لم تكن في واقع الأمر إلاّ دليلاً على انفصال أولئك الشعراء عن الموروث الشعبي وعالم الطبيعة، كما يقول الشاعر والكاتب الألماني شلر Schiller (١٧٥٩-١٨٠٥) . في الماضي كان الإنسان جزءًا من الطبيعة، كما يقول شلر، لا يندهش في حضرتها، وحين يصفها فإنما يصف ما يألفه ببساطة وعادية. أما الآن فالشعراء يدخلون الطبيعة كما يدخلون معبدًا

(٧) انظر كتاب هيغل فلسفة التاريخ :

G.W.F. Hegel, *The Philosophy of History* tr. J. Sibree (New York: Dover Publications, 1956) 418.